

مفاهيم القرآن

(148) هذا إضفاء طابع الشرعيّة على اكتناز الأموال الطائلة الذي كان يقوم به جماعة من بطانة الخليفة كما يشهد بذلك التأريخ. ولكن عثمان لم يستطع تحقيق هذا المطلب فقد عارضه أبيّ بن كعب، واعترض عليه هذا التغيير الطفيفة اللفظي في الظاهر. وهذا يكشف عن مدى حفظ الأُمَّة لنصّ الكتاب بهذه الصورة الدقيقة الأمانة. بيد أنّ حفظ الأُمَّة كان محدوداً لا يتجاوز هذا الحدّ، إذ كان غير شامل لجوانب اخرى من الشريعة وأُصولها ومصادرها وينايبها. ويدل على ذلك: أوّلاً: أنّ الأُمَّة اختلفت في تفسير الكثير من آيات القرآن، وبيان مقاصده ومعارفه اختلافاً جرّ إلى تعدّد المذاهب، ونشوء الاتّجاهات المختلفة، والتيارات المتضاربة وكلّ يتمسّك بالكتاب وربّما بالسنة. فمن جبريّة إلى معتزلة، إلى صفاتيّة إلى خوارج، إلى مرجئة، وشيعة، وكلّ منها يتفرع إلى فرق وطوائف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار في العقيدة والمسلك، وفي الأُصول والفروع (1). فهل يمكن أن يكون كلّ ذلك هو الحقّ الذي تضمّنه القرآن، ودعا إليه؟! أليس ذلك يدل على أنّ الأُمَّة لم تبلغ في الإحاطة بالشريعة والنضج الفكريّ الإسلاميّ ذلك المستوى الذي يؤهلها لحفظ الأُصول والفروع، والمحافظة على ما يتّصل بالكتاب والسنة، وطرح ما لا يمتّ إليهما بصلة. ثانياً: أنّ التأريخ يشهد بأنّ الأُمَّة الإسلاميّة - في عصر الخلفاء - يوم اتسّعت رقعة البلاد الإسلاميّة واستوعبت شعوباً كثيرةً، شهدت دخول جماعات عديدة من أخبار

1- راجع للوقوف على هذه المذاهب وفروعها: الملل والنحل للشهرستانيّ والفرق بين الفرق وغيرها ممّا ألّف في هذا المجال.